

من معالم الكرك

آثار نبي الله لوط عليه السلام في غور الصافي وأضرحه الصحابة والقلاع الإسلامية فيها

■ بقلم الدكتور نوح مصطفى الفقير

تقع محافظة الكرك في جنوب المملكة، قال ياقوت الحموي: (كَرْك اسم لقلعة حصينة جداً، في طرف الشام، من نواحي البلقاء، في جبالها، بين أيلة وبحر القُلْزُم وبيت المقدس، وهي على سن جبل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الرض)، يريد قلعة الرض، التي تريض على أعلى قمة في عجلون، وكانت تعرف بكرك الشوبك، وهناك قرية كبيرة قرب بعلبك بها قبر طويل يزعم أهل تلك النواحي أنه قبر نوح عليه السلام، تسمى كرك نوح، وشتان بينهما في المسافة، ومن علماء الكرك الأردنيين المشهورين إبراهيم بن موسى، وولده برهان إبراهيم بن عبد الرحمن الكركي.

ومن آثارها:

أولاً: آثار لوط عليه السلام في البحر الميت ومآب والربة، وفيها مقام أبي عبد الله الهاشمي وعين زغر المباركة: رسول الله لوط ابن أخ رسول الله إبراهيم الخليل عليه السلام، عاصره، وعاش في كنفه، وآمن به؛ وهاجر معه إلى بيت المقدس؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي

بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، ثم نزح عن عمه الخليل عليه السلام بأمره وإذنه، فنزل بمدينة سدوم، وهي منطقة حول البحر الميت، وكهف لوط عليه السلام ما زال يشهد.

وليس لرسول الله لوط عليه السلام مقام معروف في الأردن، ولكن البحر الميت يسمى باسمه؛ فيقال: (بحيرة لوط)، وما جاوره من الأرض هي أرض سدوم، وكان يسكنها

الحموي: (الربة قرية في طرف الغور بين أرض الأردن والبلقاء)، كان اسمها "ربة مؤاب" أي عاصمة مؤاب؛ فالربة المدينة الرئيسة، ويقال: إنها سميت بهذا الاسم بسبب دفن ربة بنت لوط عليه السلام فيها؛ قال ابن أبي حاتم: (خَرَجَ لُوطٌ عليه السلام مِنْهَا بِنَاتِهِ وَهُنَّ ثَلَاثٌ، فَلَمَّا بَلَغَ مَكَانًا مِنَ الشَّامِ مَاتَتِ الْكُبْرَى فَدَفَنَهَا، فَخَرَجَ عِنْدَهَا عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: عَيْنُ الرَّبَّةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى إِذْ بَلَغَ مَكَانًا آخَرَ مَاتَتِ الصُّغْرَى فَدَفَنَهَا، فَخَرَجَ عِنْدَهَا عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: الزَّغْرِيَّةُ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْوُسْطَى)، ومثل هذا قال ياقوت الحموي.

ولقد عاش في الربة من العلماء أبو عبد الله بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، ومن آثار الربة مقام ينسب للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو عبارة عن كومة من الحجارة، يظهر فوقها نقش كتب عليه: (هذا القبر المبارك قبر زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عمله العبد الفقير إلى الله تعالى سليمان القانوني)، وقد استشهد زيد في عهد هشام بن عبد الملك، وقد يعود هذا النقش في تاريخه إلى العهد التركي، وقد تم نقل هذا النقش إلى متحف المزار الإسلامي في مزار الكرك، ومعروف أن زيداً هذا هو الذي يُنسب إليه الزيدية؛

المؤتفكات، وهم الذين قلب الله تعالى فيهم أرضهم؛ قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾، والأرض المقلوبة هي قعر البحر الميت الآن، والصور التي تلتقطها الغواصات لقاع البحر الميت تظهر حقيقة الموقع.

ولقد سميت بعض الأماكن بأسماء أولاد لوط عليه السلام؛ ومن ذلك:

١. زُغُرُ قرية مباركة في غور الكرك نجى الله فيها لوطاً عليه السلام؛ تقع زُغُرُ في غور الصافي، غرب مدينة الكرك، قال ياقوت: (قرية بمشارف الشام.. وقيل: زُغُرُ اسم بنت لوط عليه السلام؛ نزلت بهذه القرية فسميت باسمها)، وقيل: عين بالبلقاء، وقيل: إن فيها الحجر الذي ضربه موسى فأنفجرت منه اثنتا عشرة عَيْنًا، وفيها عين صغيرة ضئيلة، ويُخبر من حولها من السكان أنها كانت فيما مضى دفاقة الماء قوية الجريان، ويسمونها أهلها بلهجتهم: (العين الزغيرة)؛ أي الصغيرة، وقد جاء ذكرها في حديث الجساسة، وأنها تغور في آخر الزمان، وغورها من علامات الساعة، وقد وردت القصة في صحيح مسلم، وعاش في زغر القارئ محمد بن الحسن أبو الطيب الزغري.

٢. قرية الرِّبَّة مرَّ منها لوط عليه السلام ودفن ابنته فيها وفيها مقام أبي عبد الله الهاشمي وآثار القلعة التاريخية: قال ياقوت

ففي نسبة المقام إليه شك، والذي يظهر لي أن هذا هو مقام «أبو عبد الله الهاشمي»، والله تعالى أعلم.

وفي بلدة الربة موقع أثري؛ ويدل ما بقي من البناء على أن الموقع هو أساس قلعة قديمة.

٣. مآب سميت باسم مؤاب بن لوط عليه السلام: مآب بلاد شرقي البحر الميت، ويقال: مؤاب اسم لابن لوط عليه السلام، ومن نسله شعب مؤاب، الذي أعطي اسمه لهذه البقعة، ومآب هي السراة - الشراة - التي تمتد بمحاذاة الغور الأردني من الشرق، وتقع عليها مدن كثيرة؛ منها البتراء، والكرك، والسلط، وعجلون، وربما جرش وعمّان، قال المقدسي البشاري: (أما الشراة فجعلنا قصبها زغر، ومدنها مآب، ومعان، وتبوك، وأذرح، وأيلة، ومدين)، وقال ياقوت: (مآب في اللغة المرجع، وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء)، وقال الطبري: (أول صلح كان بالشمع صلح مآب، مرّ أبو عبيدة بها في طريقه، وهي قرية من البلقاء، فقاتلوه، ثم سألوه الصلح فصالحهم).

ثانياً: القطرانة القلعة مدرسة علمية، والحاميات ومحطتها لرعاية حجاج بيت الله والطريق السلطاني: مدينة القطرانة جنوب عمان على بعد نحو ٩٠ كم، وعرفت في التاريخ بأنها محطة مهمة على

طريق الحج، وفيها قلعة القطرانة، التي بنيت في عام ٩٣٧هـ/١٥٣١م، خصوصاً لحماية طريق الحج، حيث أن هذه القلعة كانت إحدى المراحل الرئيسية على طريق الحج؛ مثلها مثل القسطل، وزيزياء، وقلعة الحسا، وتقع على الطريق التي أمر بشقها السلطان سليمان القانوني، وتسمى اليوم الطريق السلطاني؛ فالموقع مرتبط ارتباطاً جذرياً بالحج، وقد استعملها الأتراك نقطة إستراتيجية عسكرية، وقد قام رحالة عديدون بزيارتها ومنهم ستزن الألماني، وبيركهارت السويسري، والألماني برونوف عام ١٨٩٨م، ونستنتج من تقارير هؤلاء الرحالة أنها كانت قائمة منذ عام ١٨٠٥م، وربما تكون قد بنيت قبل ذلك.

وقلعة القطرانة مستطيلة صغيرة، وأسوارها مجهزة بالفتحات، وكوى - جمع كوة - إطلاق السهام، وفيها النوافذ الكاشفة، ويقع مدخل القلعة في الواجهة الجنوبية الشرقية، وترتفع البوابة حوالي ثلاثة أمتار، ويعلوها شرفة للمراقبة.

وذكر الشيخ عبد الرزاق البيطار أن في القلعة دفن الشيخ حامد بن أحمد بن عبيد العطار الشافعي الأشعري.

ثالثاً: مقام رسول الله نوح عليه السلام: يوجد في الكرك مقام لنبي الله نوح عليه السلام، وأهل التاريخ يتفقون أنه لم يبعث في هذه

والحصار، أو بسبب عوامل الزمن، وتتألف القلعة من الداخل من جزأين رئيسيين؛ الجزء الأسفل ويقع في الجهة الغربية على يمين الداخل للقلعة، والجزء الأعلى ويقع على يسار الداخل من جهة الشرق.

تاريخ القلعة: شهدت القلعة أحداثاً تاريخية كبيرة فرضتها طبيعة القلعة؛ ومنها:

١ . أنه تعاقب عليها المؤابيون والأشوريون والأنباط واليونان والرومان والبيزنطيون، ودخل المسلمون الأردن، وظلت الكرك في العصر الإسلامي محمية، واشتهرت المنطقة كافة بالتحركات السياسية في عهد الخلفاء الراشدين، وفي الدولتين الأموية والعباسية.

٢ . احتلتها قوات الصليبيين، واشتهرت إبان الحروب الصليبية، وأقام الملك بولدين الأول المتوفى ٥٠٩ هـ حصناً؛ لحماية الحدود الجنوبية الشرقية لمملكة بيت المقدس، وأطلق عليها الصليبيون اسم (جوهرة الصحراء)؛ وكانت الكرك مركزاً للمملكة الصليبية، وكانت تلك المملكة مشهورة بالتهور وخرق المعاهدات، وكانت تتعرض لقوافل التجار والحجاج، وتشن حملات على شواطئ البحر الأحمر، وبلغت الغطرسة أنها حاولت تهديد موطن الإسلام الأول مكة المكرمة؛ الأمر الذي دفع صلاح الدين الأيوبي إلى استجماع

المنطقة؛ ولكن قرب الأردن من بيت المقدس هو الذي يؤكد لنا مروره منها، وقد يكون قد قضى فترة فيها؛ وهو حفيد إدريس عليه السلام، وبُعث بعده، يقال: كان بينه وبين آدم عشرة قرون، ومما تجدر الإشارة إليه وجود مقام لنبي الله نوح عليه السلام في الشام؛ في بلد يقال لها: (كرك نوح).

رابعاً: جوهرة الصحراء استولى عليها الظاهر بيبرس وهي مليئة بالآثار عامرة بالمشاهد: قلعة الكرك أعجوبة؛ قال ابن بطوطة: (هي من أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها، ويسمى بحصن الغراب والوادي يطيف به من جميع جهاته، وله باب واحد؛ قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد، ومدخل دهليزه كذلك، وبهذا الحصن يتحصن الملوك، وإليه يلجأون في النوائب).

إنها من القلاع ذات الأهمية، وهي من أقدم وأضخم القلاع في منطقة الشرق الأوسط؛ بناء ضخيم مستطيل الشكل طوله من الجهة الشرقية ٢٢٠ متراً، ومن الجهة الغربية ٢٤٠ متراً، أما الجهة الجنوبية فيبلغ طولها ٨٥ متراً، والشمالية التي تقع فيها البوابة الرئيسية للقلعة، ولها أربعة أسوار لا زالت جميعها قائمة، وإن كانت بعض الأبراج المنصوبة عليها قد اعتراها التغيير، بفعل ما تعرضت له المنطقة من زلازل متلاحقة، أو نتيجة الحروب

قواه العسكرية، وقام بحملة قوية عليها ونجح في طرد الصليبيين منها، بعد أن ظلت القلعة في قبضة الصليبيين مدة تزيد عن أربعين سنة.

٣ . أصبحت هذه القلعة حصناً أيوبياً، بعد قتل حاكمها أرناط وذلك عام أربع وثمانين وخمس مائة (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م)، واستخدم صلاح الدين القلعة موقعاً عسكرياً، وبذلك أمكنه السيطرة على وادي عربة وخليج العقبة، بالإضافة إلى حصن الشوبك، وقد مكّن الحصنان الصليبيين من قطع الاتصال بين مصر والشام، والسيطرة على طرق القوافل، وعلى حقول القمح في الكرك وطرق التجارة، وجعلها السلاطين عاصمة لمملكتهم، وقاموا ببناء المدارس، ودور العلم، ومراكز الاستشفاء، وبنوا الأبراج الجديدة لتحمي القلعة من هجمات الأعداء، وطمسوا المعالم الصليبية فيها؛ مما أعادها قلعة إسلامية.

٤ . استولى الظاهر بيبرس على القلعة سنة ١٢٦٢ م، وبرزت النقوش الإسلامية على جدران القلعة باسمه؛ فعلى أحد الأبراج: (إنها عمارة مولانا السلطان، الملك الظاهر، السيد الأجل الكبير، العالم العادل المجاهد، المرابط المؤيد المظفر المنصور، ركن الدنيا والدين، سلطان

الإسلام والمسلمين، سيد الملوك والسلاطين، ناصر الحق مغيث الخلق ملك البحرين، صاحب القبلتين خادم الحرمين الشريفين، محيي الخلافة المعظمة، ظل الله في الأرض، قسيم أمير المؤمنين بيبرس بن عبدالله الصالح أعز الله أنصاره)، وفي الفترة المتأخرة من نهايات الدولة المملوكية تعرضت لغزوات القبائل البدوية، ولم تكن تحت سلطة مركزية في ذلك الوقت، وأضحت القلعة منفى سلاطين المماليك، وكان أول المنفيين إلى الكرك من سلاطين المماليك أحد أبناء السلطان الظاهر بيبرس؛ وذلك عام ١٢٧٩ م، ونُفي إليها محمد بن قلاوون عام ١٢٩٣ م، ومن الكرك عاد محمد بن قلاوون للكرسي مرة أخرى عام ١٣٠٩ م، وبقي للكرك هذا الوضع الغريب طوال دولة المماليك.

٥ . عام ١٥١٦ م تمت سيطرة العثمانيين عليها، وأصبحت حامية تركية، وأعيد استخدامها مركزاً للجند، بعد أن دُمّر جزء كبير منها أثناء احتلالها.

٦ . في العصر الحديث شهدت المزيد من التطوير والتحسين وأعمال الصيانة التي شملت مرافق القلعة وأسوارها وأبراجها.